

## مقدمة المترجم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من خاطبه ربه قائلاً ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين. وبعد؛

فلم يحفظ الناس عبر العالم عن الإيطاليين ورثة أمجاد روما حكماً كثيرة ولا أقوالاً ماثورة عديدة. ولكنّ مثلاً يتيماً واحداً بلغ من الشهرة والتداول ما لم تبلغه عشرات الكتب، ونعني بذلك المثل القائل (Traduttore, traditore)، ومعناه -حرفياً- «المترجم خائن». وقد حرصت جلّ اللغات الأوروبية على نقل هذا المثل إليها واجتهدت أيما اجتهاد في الاحتفاظ بطاقته التعبيرية المتأبّية أساساً من الجنس الذي يوحي تقارب مكوّناته الصوتية بالأمانة، ولكنّ دلالاته تنهض على منطوق هو أقرب إلى الطباق، يستفزع الخيانة. وصاغه الإنجليز بقولهم (Translator, traitor). ولفرط ما في هذا المثل من بلاغة وبراعة فقد اعتبرت صيغته المختزلة خلاصة لأهمّ إشكاليات الترجمة حتى إنّ لقي لدى العرب حظوة كبيرة فسعوا هم أيضاً إلى تعريبه بصيغ شتى لعلّ أوقعها أثراً في النفس تلك التي اقترحها الأستاذ الفقيه صالح القرمادي (١٩٣٣-١٩٨٢) أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية وفحواها: «الترجمان، خائن خوّان». ولسنا هنا بصدد بيان محاولات ترجمة هذا المثل في اللغات المختلفة، ولا بيان ما كتب عنه من كتب ودراسات، وإنما القصد بيان صعوبة عمل المترجم في نقل الأفكار والمعاني من لغة إلى أخرى. وليس بخاف على القارئ ما بين ألفاظ اللغة الواحدة من فروق دلالية، وإن تشابه معناها، ولذا عقد أبو هلال العسكري كتابا

أسماء «الفروق اللغوية» لبيان تباين المعنى المراد من ألفاظ التعبير المختلفة؛ فكيف بالفروق بين ألفاظ لغة ولغة.

وتكمن إحدى الصعاب في ترجمة هذا الكتاب في إيراد النصوص التي اقتبسها المؤلف سواء كانت إنجليزية أصلاً أم نقولات من كتب ومخطوطات عربية وقام المؤلف بترجمتها، وفي هذا الجزء بالذات، كانت الصعوبة الأشد، فمعظم ما ينقل عنه المؤلف مخطوطات -وللأسف- لا توجد في عالمنا الإسلامي أو وطننا العربي، أو كتب نفدت من قديم ولم تعد تطبع، وبالطبع هناك كتب ما زالت تطبع لكن اختلاف الطبعات التي كان ينقل منها المؤلف عن التي بين أيدينا كان سبباً في تعسر المقابلة والموافقة بين النصوص. وبفضل المولى رحمته ومساعدة إخوة أفاضل، تمت مقابلة كل مواضع النقل بمصادرها. هذا وقد التزمت الدقة في النقل حسب الصيغة التي أوردتها المؤلف، فأحيانا كان يزيد ألفاظاً على ما ورد بالنص الأصلي، وأحيانا كان يحذف، وكان يوضح مواطن هذا الحذف أحيانا وأحيانا لا يفعل. ولم أزد الإثقال على القارئ بكثرة الهوامش للتعريف بالأعلام أو المدارس الفكرية والفلسفية التي ذكرها المؤلف؛ لأنني على ثقة من ثقافة القارئ وقدرته على الوصول لتلك المعلومات. ولم أتدخل بتصحيح أو تعليق إلا فيما وجدته مضطراً إليه -وفي أضيق الحدود-؛ وذلك لبيان مبهم أو تصحيح خطأ، ومجموع ذلك تسعة عشر موضعاً.

وكان من المعتاد أن يُقدم المترجم بين يدي ترجمته مقدمة تشتمل على بيان منهجه في الترجمة، وبيان قيمة العمل المترجم. ولست أبغي الكلام عن منهجي في الترجمة، فما هي إلا محاولة بشرية يعترها ما يعترى البشر من خطأ وسهو ونسيان، والباب مفتوح لكل من كان له ملاحظة من شأنها أن تقرب هذا العمل خطوة نحو الكمال، فليست مشروعاً مكتملاً حتى نتكلم فيه عن أسس وقواعد ومنهجية. فضلاً عن أن هذا الكتاب يمثل جزءاً من مشروع متكامل قام عليه الدكتور جورج مقدسي. أما ما يتعلق بقيمة هذا العمل، فهذا متروك للقارئ يستكشفه بنفسه، وإن كان لي من بيان، فأقول: رغم نشر هذا الكتاب منذ ما يربو على العشرين عاماً، وكثرة ما كُتب بعدها عن ابن عقيل سواء أفراداً بالحديث، أو للحديث عن بعض جوانب حياته، إما

في كتب مفردة أو في رسائل ماجستير أو دكتوراة منها: «ابن عقيل حياته واختياراته الفقهية» من إعداد الدكتور/ صالح بن محمد الرشيد، وتقدم بها لنيل الدكتوراة من جامعة الأزهر عام ١٣٩٩هـ، و«آراء أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي في مسائل التوحيد» من إعداد/ أيمن بن سعود العنقري، وتقدم بها لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٢٦هـ، وغير ذلك كثير مما ليس هذا محل استقصائه، يظل هذا الكتاب -بعد ذلك- كاشفا عن جوانب خفية، ومواقع لم تزل مجهولة حتى اللحظة في حياة عالمنا الفذ أبي الوفاء بن عقيل، ولم يتعرض لها بالذكر أو الإشارة -حسب قراءتي وبحثي- سوى في هذا الكتاب. ولا يعني هذا بالضرورة موافقتي لكل ما أورده المؤلف في كتابه، ومن ذلك ما ذكره في وفاة الشريف أبي جعفر عبد الخالق بن عيسى، من أن وفاته كانت بالسم وتلميحه بأن ذلك كان من فعل بعض مبغضيه من متفهمي الحنابلة (تحديدا أتباع الشيخ الأجلّ أبي منصور بن يوسف)، وما روي هذا إلا من قول بعض العوام في وفاته: إنّ بعض المبتدعة ألقى في مداسه سُمّا. وابن رجب قال: ثم إنّ الشريف مرض مرضا أثر في رجليه فانتفختا. وذكر قصة السم بصيغة التمريض «يقال». ولو سلمنا بصحتها لكان من الأولى أن تنسب لأصحاب ابن القشيري، الذي ورد بغداد سنة ٤٦٩هـ، وجلس في «النظامية» وأخذ يذمّ الحنابلة، وينسبهم إلى التجسيم، وصارت فتنة، وقام فيها الشريف قياما كليا. وساند القشيري فيها أبو سعد الصوفي، وأبو إسحاق الشيرازي، وكتب أبو سعد إلى نظام الملك يشكو الحنابلة، ويسأله المعونة، واتفق جماعة من أتباعه على الهجوم على الشريف أبي جعفر في مسجده، والإيقاع به، فتصدى لهم جماعة من أتباع الشريف، وقُتل في هذه الفتنة رجل من العامة وجرح آخرون، وأغلق أتباع ابن القشيري أبواب سوق المدرسة النظامية، وصاحوا: المستنصر بالله، يا منصور -يعنون بذلك العبيدي الذي كان على حكم مصر-. ثم جرى بعدها ما جرى من محاولة الصلح، وبعدها بفترة توفي الشريف.

وعملا بقول النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ». أحب أن أتوجه بالشكر والتقدير لكل من ساهم وساعد على إتمام هذا العمل، وهم كثر، ولولا مساعدتهم -بعد عون الله جل وعلا- ما كان لشخصي الضعيف أن يتم هذا العمل. ولست مستقصيا كل من مد يد العون، وساعد إما بوقته

وجهدته أو بالدلالة على ما قد يساعد أو من يقدر أن يساعد، ومنهم أناسٌ لم ألتق بهم ولا مرة واحدة، ومنهم من هو خارج مصر، فالله أسأل أن يجزل مثوبتهم في الدنيا والآخرة. وأخص بالشكر أسرتي -أبي وأمي وإخوتي- على ما قدموه وبذلوه من جهد ودعم مادي ومعنوي، وتحملهم إياي أثناء ترجمة هذا الكتاب، وما كان يمر بي من حالات حنق وغضب بسبب ضغط العمل أحياناً، وانقطاع الكهرباء أحياناً أخرى، ما كان يتسبب في ضياع أجزاء من العمل وتوجب إعادتها مرة أخرى.

كما أتوجه بخالص شكري وامتناني لأستاذي ومعلمي الدكتور/ محمد سعيد متولي، ممن الناس عليّ في أدب وعلم وصحبة، فما أنا بعد فضل الله ﷻ وفضل أهلي إلا بعض حسناته، فالله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما أتوجه بخالص شكري وامتناني للحبيب/ أحمد عبد الخالق، فهو سبب حصولي على هذا العمل أصلاً، كما أنه لم يتأخر في إبداء النصح والتوجيه سواء قبل البدء في الترجمة -أثناء الإعداد لها- وأثناءها، فكان لتعليقاته ومقترحاته وتصحيحاته الأثر الطيب في تصويب كثير مما وقعت فيه من أخطاء.

كما أشكر أخي وحببي/ محمد قبيصي، على مراجعته لمسودات الترجمة، وتعليقاته الطيبة، واستدراكاته لكثير مما فاتني وأخطأت به، وكذلك تشجيعه الملهم الذي كان يمثل -في أحيان كثيرة- دفعة التقدم التي كانت تساعدني على الاستمرار أوقات فتوري.

وبطيب لي في هذا المقام أن أعرب عن امتناني وتقديري لمركز نماء والعاملين به، لاهتمامه بهذا العمل وسعيه في ترجمته إلى العربية، إيماناً بما يمثله من إضافة في إضفاء بعض الضوء على حياة هذا العالم الفذ والعصر الذي عاش فيه.

وأختم بما أنشدته الإمام الأديب أبو المحاسن مسعود بن محمد بن غانم الغانمي (ت. ٥٥٣هـ)، في مدح ابن عقيل:

لعلّي بن عقيل البغداديّ	مجد لفوق الفرقدين محاذي
قد كان ينصر أحمداً خير الوريّ	وكلامه أحلى من الآزدي
وإذا تلّهّب في الجدال فعنده	سحبان فة في التجارب هادي
ما أخرجت بغداداً فحلاً مثله	لله درُّ الفاضل البغداديّ

ولقد مضى لسبيله مع عصابة كانوا لدين الحق خير ملاذ  
أرجو من المولى ﷺ أن تكون هذه الترجمة علمًا يُنتفع به، وأن تكون في ميزان  
حسناتي وميزان من ساعدوا في إتمام هذا العمل يوم لا ينفع مال ولا بنون. والحمد  
لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
ومن سار على دربه ونهجه.

ربيع آخر ١٤٣٨هـ

المترجم

